الأوقاف والمجتمع

من إصدارات مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف (٤)

للدكتور عبد الله بن ناصر السدحان

يعــد هذا الكتاب مجموعة كتب في كتاب واحد؛ قاســمه المشــترك علاقة الأوقاف بالمجتمع؛ لكون الأوقاف من أكثر الشعائر فعالية في تنمية المجتمع واستدامة موارده؛ فقد بدأه المؤلف بمقدمة أساسية عن الوقف والأوقاف، وتعريفه، وأقسامه، وأحكامه، وأهدافه ووظيفته في الحضارة الإســلامية مقارنة مع وظيفتــه في الحضارات الأخرى، وذلك في الفصل الأول.

وفي الفصل الثاني تحدث عن الآثار الاجتماعية للأوقاف، وكيف تؤثر في المجتمعات، وكيف تتأثر بفعل المجتمعات نفسها، وإن كانت هذه الآثار لا تتبين إلا بعد مرور عقود من الزمن، ويستبينها المتأمل من خلال الاستقراء، ورصد التاريخ الاجتماعي لفعل الأوقاف في بنية المجتمع، وهويته التي تتشكل خلال تلك العقود من الزمن.

وفي الفصل الثالث تحدث عن مشــكلة مؤرقة في المجال الوقفي وهي، كيف يمكن أن تستفيد المجتمعات من الأوقاف بشكل أكبر مما هو قائم الآن؟، وأكد ضرورة تصحيح المنطلق في بداية الوقف، وهي الوثيقة الوقفية، وضرورة مسايرتها لواقع المجتمع وحاجاته المتجــددة، والتعرف على تلك الاحتياجات، وأن يكون ذلك بوجود مراكز بحثية تُقدم إلى مؤسســة الوقف الحاجات المســتقبلية المتوقعة للمجتمع من واقع الإحصاءات الســكانية والحيوية للمجتمعات المحلية، ليسعى الوقف إلى سدها وذلك بصياغة الوثيقة الوقفية التي تعمل على تلبية تلك الحاجيات المستقبلية المتوقعة أو أغلبها، مما يؤكد ضرورة تجاوز الصيغ التقليدية السابقة التي كانت ملبية لحاجات المجتمع في وقتها، لتتجارى مع حاجات المجتمع المتجددة.

وفي الفصل الرابع انطلق البحث من مفهوم جديد بدأ يسود بين المهتمين بالدراسات الوقفيــة وهو (وقف الوقت) المنطلق من استشــعار وجود طاقات في المجتمع لم تتحقق الاستفادة الكبرى منها على الشكل المطلوب، وبخاصة أنها تضم قطاعًا عريضًا من المجتمع وهم فئة الشــباب، فكان الحديث في البحث عن كيفية اســتفادة المؤسســة الوقفية من الشباب في المجتمع، انطلاقًا من عدد من الاعتبارات التي يرتكز عليها تحقيق هذه المصلحة المشتركة للوقف والشباب والمجتمع.

وفي الفصل الخامس كان الحديث عن موضوع لم يتحدث عنه الكثيرون؛ وهو وضع الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين خارج الأراضي الســعودية تفصيلًا، حيث تُعد تلك الأوقاف من أوسع الأوقاف كمًا وحجمًا على مرّ التاريخ الإسلامي، وهي متفرقة في عدد من البلدان الإسلامية، ولكن تعطلت أو كادت في منتصف القرن الماضي، فكان طرح هذا الموضوع للفت الانتباه إليها، مع طرح بعض الحلول التي تمكن من الإفادة منها دونما حرج سياسي للمملكة العربية السعودية، وكذلك للبلدان التي توجد فيها هذه الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين.

وفي الفصل الســادس تناول الباحث مسألة اندثار الأوقاف واضمحلالها بشكل غير اختياري، أو بعبارة أخرى ما يســمى بالفقد القسري لهذه الأوقاف، حيث توصل البحث إلى رصد عدد من الأسباب التي أوصلت بعض الأوقاف إلى مرحلة الاندثار القسري لها، مع استعراض صورٍ من مظاهر ذلك الاندثار الذي أصاب بعض الأوقاف، وختمه بطرح تصورات عملية لمحاولة إعادة ما يمكن إعادته، مع عرض عدد من الخطوات العملية حفاظًا على الأوقاف في مستقبل الأيام لأطول مدة ممكنة.

وفي الفصل السابع تحدث الباحث عن الصورة الذهنية السلبية السائدة عن الأوقاف في بعض المجتمعات، ومحاولة رصد مظاهرها، وصورها بين آحاد الناس، وكذلك في أروقة الحكومات، حيث تتمثل في النظر إلى الأوقاف على أنها مقتصرة على مجالات دينية بحتة

كالمساجد، والمقابر، وأنها مضرب مثل للإهمال، وأنها صورة من صور الماضي التي تجاوزها الزمن ولا صلة لها بالحاضر، أو اعتقاد بعض الموسرين أن مجالات الأوقاف ومصارفها منحـصرة في أوجه محددة. وذلك التصور نابعٌ من معايشـتهم لمجتمعهم وبيئتهم حيث كانت مصـارف الأوقاف في تلك الأزمان -غالبًا- تنحصرُ في مجالات ضيقة جدًا، وهي وإن كانت نافعة في وقتها ولكن الزمن تجاوزها أو الاحتياج إليها تقالَّ أو انعدم، أو أنها تتصف بالمنافع القاصرة وليست المنافع المتعدية إلى أكبر شريحة في المجتمع، مع التركيز على ضرورة العناية بموضوع تصحيح الصورة الذهنية عن الأوقاف، للآثار السلبية المتوقعة في حال اسـتمرار هذه الصورة الذهنية عنهـا، وهذا التصحيح ليس في مصلحة الوقف والواقفين فحسب، بل يمتد أثره ونتائجه الإيجابية على المستوى الاقتصادي للدولة.

وأخيرًا في الفصل الثامن كان الحديث عن جهود المملكة العربية السعودية في مجال الأوقـاف، وهو محاولـة لتوضيح الأعمال التي تقوم بها الحكومة السـعودية في مجال الأوقاف والعناية بها خلال العقود السابقة والوقت الحاضر، من خلال محاور عدة تتمثل في العناية بالجانب التشريعي والإشرافي على الأوقاف، وجهودها في مجال رعاية أوقاف الحرمين الشريفين داخل المملكة والمحافظة عليها، مع العناية بالجانب العلمي ونشر الثقافة الوقفية في المجتمع السعودي، مع الإشارة -تحديدًا- إلى العناية بالمكتبات الوقفية الخاصة والعامة. وأخيرًا جهودها في حماية الأوقاف من الاسـتيلاء عليها أو ضياعها، مقارنة بما حدث في عدد من الدول الإسلامية من عدوان تجاه الأوقاف الذريّة والخيريّة. ومن حق هذه الدولة التي ترعى الحرمين الشريفيّن تبيان تلك الجهود التي تبذلها للعناية بالأوقاف في ظل هذه الهجمة الشرسة التي وجهت نحو الأوقاف، والمؤسسة الوقفية في مدد قريبة سابقة في مناطق عدة من العالم الإسلامي، وبضدها تتمايز الأشياء.